جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَة

عَدَدٌ خَاصٌّ

عَنِ العلَّامة السيِّد عليّ ابن طاووس قدس سره

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَة

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّة

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّة

السَّنَةُ (الثالثة)/المجلَّدُ (الثالث)/العَدَدُ (العاشر)

ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/كانون الأوَّل ٢٠١٨م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة الثالثة، المجلَّد الثالث، العدد العاشر (كانون الأوَّل ٢٠١٨)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة وكشَّافات.
النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١. العلماء المسلمون (شيعة)--العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٢. آل طاووس (أسرة) العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٣. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ألف. العنوان
LCC: BP192.8 .A8374 2018 VOL.3 NO. 10
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

النقد اللغويّ عند السيِّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) على آراء الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)

The Linguistic Criticism of Sayyid Ibn Tawoos (D. 664 AH) on Al-Firaa Views (D. 207 AH)

أ.م.د. قصي سمير عبيِّس

كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام/أقسام بابل

Asst. Prof. Dr. Qusay Samir Obyis

College of Imam Kadhim (PBUH)/

Babylon Sections

ملخَّص البحث

يعدُّ كتابُ معاني القرآنِ للفرَّاء (ت٢٠٧هـ) مائدةً رحبةً في علوم اللغة والتفسير، فهو يحوي معاني علوم القرآن الكريم، ومعاني علوم اللغة العربيَّة؛ لذا اشتغل بهذا الكتاب كثيرٌ من المفسِّرين، ومن هؤلاء العلماء الذين تتبَّعوا آراء الفرَّاء وثبَّتوا عليه ملاحظهم السيِّد ابن طاووس الحِلِّيّ (أبو النور) (ت٦٦٤هـ)، الذي وقف وقفةً نقديَّةً على آرائه. وقد تناولت في هذا البحث المسائل اللغويَّة التي خالف فيها كتاب (معاني القرآن) حصرًا، وهذا يدعو للتفتيش والضبط والجهد.

وقد قسَّمت البحث على مقدِّمة، وتمهيد، وسبع عشرة مسألة تختصُّ بنقد السيِّد ابن طاووس آراء الفرَّاء، تتبعها خاتمة. بيَّنت في المقدِّمة مكانة كتاب (معاني القرآن) في مدوَّنة اللغة العربيَّة، فضلًا عن استظهار قيمة كتاب (سعد السعود) للسيِّد ابن طاووس وأثره في علوم اللغة العربيَّة، والعلوم التفسيريَّة، وتناولت في التمهيد تعريف النقد لغةً واصطلاحًا، وذكرت منهج السيِّد ابن طاووس في النقد، أمَّا المسائل التي وقفت عليها فهي جملة من النقود التي ذكرها السيِّد ابن طاووس مخالفًا فيها الفرَّاء، وفي الخاتمة سلَّطت الضوء على أهمِّ النتائج التي توصَّل إليها البحث.

Abstract

The book of (Maany Al- Koran) for Al-Firaa (d. 207A.H) is a wide table in the sciences of language and interpretation, it contains the meanings of the sciences of the "Holly Qur'an" and the meanings of the Arabic language sciences, so many interpreters worked by this book, those scientists who follow the views of Firaa and confirmed by the observation of Sayyid Ibn Tawoos, "Abul-Noor" (d. 664 A.H). Who stood as critical pause on his views. In this research I have dealt with the linguistic issues in which the book of the meanings of the Qur'an was contradicted exclusively. This needs inspection, control and effort.

The reseach is divided into preface, introduction and seventeen issues concerning the criticism of Sayyid Ibn Tawoos opinions of Firaa. Followed by a conclusion. In the introduction, the book describes the meanings of the Quran for Firaa in the Arabic language code, as well as the value of the book of Saad al-Saud to Sayyid Ibn Tawoos and his impact on the sciences of Arabic language, and interpretive science. Then I addressed in

the preface the definition of criticism language and terminology, stated the approach of Sayyid Ibn Tawoos in criticism. The issues that stood on it. Then many critics mentioned by Sayyid Ibn Tawoos, in which the Firaa is violated. Finally, I highlighted the main findings of the research.

مقدِّمة البحث

ممَّـا لا ينكـر فضله مكانة كتاب معـاني القرآن للفرَّاء (ت٢٠٧هـ) في مدونة اللغة العربيَّـة، وعلوم القـرآن الكريم، فقد كان منهلًا معرفيًّا باسـقًا في كلِّ زمان، فهو يحوي ثـمارًا يانعةً في علوم اللغة العربيَّة كافَّة من نحـوٍ، وصرفٍ، وبلاغةٍ، ودلالةٍ، فأدَّى ذلك إلى التبـاري بين علماء اللغة، وعلماء التفسـير لدراسـته والنفع من علومـه. وقد تأثَّر به كثـيرٌ من اللغويِّـين والمفسِّرين، الأمـر الي دعا جملة من العلـماء إلى مخالفته تـارةً، والردِّ عليـه تارةً أخـرى. وهذه الـردود والمخالفات كانتـا في مختلف الجوانب، ومـا يهمُّنا في هـذا البحث هو الجانب اللغـويّ في توجيه الآيات المباركة، ولعلَّ مـن أهمِّ علماء الحِلَّة الـذي ردُّوا عـلى كتاب معاني القرآن في آرائه اللغويَّة هو السـيِّد ابن طاووس الحِلِّيّ (أبو النور) (ت٦٦٤هـ)، ولهذا تخصَّص البحث في نقد السـيِّد عليّ ابن طاووس لآراء الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) في كتابه معاني القرآن على المسـائل الخلافيَّة التي للسـيِّد ابن طاووس رأي مخالف فيها على ما ذُكر في كتاب معاني القرآن.

وممَّا يؤسـف له أنَّ تفاسير علماء الحِلَّة ومؤلَّفاتهم القرآنيَّة لم تأخذ حقَّها ومستحقِّها من الدراسـة والبحث، على الرغم من أنّ السـيِّد رحمه الله أكَّد ضرورة الاهتمام بكتابه (سـعد السـعود)؛ لما فيه مـن معانٍ جميلـة، ومغانٍ جليلة، فقال: «هذا الكتاب سـعد السـعود كالرسـول للوفـود يدعوهـم إلى مـا فيهـا ويقودهـم إلى الإقامـة بمغانيهـا والانتفاع بمعانيها»[1]. ومن هذا المنطلق الذي أفاض به السـيِّد عليّ ابن طاووس ارتأيت الوقوفَ على هذا التفسير وقوفًا لغويًّا أُبيِّن فيه مواضع النقد والانتقاد التي وقف عليها السيِّد ابن

طـاووس على كتاب (معاني القرآن) للفرَّاء، فضلًا عـن بيان جهوده اللغويَّة وبراعته في محاكاة النصوص المتعلِّقة بالقرآن الكريم؛ وأظنُّ- والله العالم- أنَّ هذه الدراسـة جديرةٌ بالبحث والتتبُّع؛ لأنَّها تقف على عالـمٍ حِلِّيٍّ لم يأخذ حقَّه في مجال اللغة العربيَّة من جهة، وبيان مواطن التوجيه اللغويّ الذي يبتغيه كِلا المفسِّرَينِ، فضلًا عن معرفة الإشكالات والمآخذ والإجابة عنها بالاسـتدلالات السماعيَّة والقياسـيَّة من جهة أخرى، فاستعنت بالله على ذلك، ومن الله التوفيق.

التمهيد

النقد لغةً: مشتقٌّ من نقد الدراهم، وذلك إخراج جيِّدها من رديئها، ومَن يقوم بهذه العملية هو الناقد[٢].

أمَّا **دلالة النقد في الاصطلاح**: فهو التعامل مع النصِّ سواء أكان نثرًا أم شعرًا وبيان المراد منه، والوقوف على مواطن القوَّة والضعف فيه[٣]، وهو بهذا المعنى يرتبط ارتبطًا وثيقًا بمعناه اللغويّ، فهو مهمَّة صعبة تحتاج إلى ثقافة عالية، وأمانة علميَّة في إصدار الأحكام، ولذلك قال الجرجانيّ (ت ٣٩٢هـ): «إنَّ النقد مهمَّة ليست باليسيرة، فهي تحتاج إلى علمٍ واسعٍ وذوقٍ رفيعٍ وإنصافٍ، وعلى الناقد الجمع بين العلم والذوق، وهذا العلم واسع لا يقف عند اللغة أو الإعراب، وإنَّما يتجاوزهما إلى كلِّ ما له علاقة بالرأي»[٤].

أمَّا **النقد اللغويّ**: فهو جانب من جوانب عناية علماء العربيَّة، ووسيلة من الوسائل التي اتَّخذوها لبيان قيمتها ومكانتها، والحفاظ على سلامتها، وقد ساعد على قيام هذه الحركة اللغويَّة والنحويَّة التي نشطت في وقتٍ مبكِّرٍ من النصف الثاني من القرن الأوَّل قيام الدراسات القرآنيَّة والحديثيَّة، ونشاط الشعر والشعراء. فكان الكسائيّ (ت٢٨٩هـ)، والفرَّاء وثعلب (ت٢٩١هـ)، وغيرهم من كبار الكوفيِّين الذين عنوا بها، وكان الخليل (ت١٧٠هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ)، والمبرِّد (ت ٢٨٦هـ)، وغيرهم من كبار البصريِّين الذين تناولوها[٥].

وممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ الفرَّاء اشـتغل بالنقد اللغويّ، وانتقد كثيرًا من العلماء في كتبه، وهذا مسوِّغ لكثير من العلماء بأن ينقدوا الفرَّاء ويخالفوه، ومن هنا انبرى السيِّد عليّ ابن طاووس لينتقده في كثير من المسـائل اللغويَّة التي يرى أن الفرَّاء وجَّه توجيهًا يجانب إلى الصواب في الوصول إلى المراد.

المسائل النقديَّة للسيِّد ابن طاووس الحِلِّيّ

منهجه في النقد

يُلحظ أنَّ نقد السيِّد ابن طاووس كان موضوعيًّا بعيدًا عن التعصُّب الدينيّ، إذ اتَّسم بالموضوعيَّة، وبالتحفُّظ من الذَّمِّ أو التهكُّم، ونحوها من العبارات التي كثيرًا ما يستعملها غيره من أهل العلم، فهو يذكر في مواضع مخالفة رأي الفرَّاء تارةً، ويقرُّ في مواضع أخرى بقبوله واستحسانه له، ويُشعرنا في مواضع ليس فيها تعليل من لدن الفرَّاء، ونجده يستعمل عبارات فيها شيئًا من النقد، أو ما نستطيع أن نؤوِّله بنقد مثل: من أين قال[٦]، وما الجواب لمن يقول[٧]، وذلك مُشعرٌ بعدم قوَّة الدليل عند الآخر أو عدم وجاهته، وقد يحصر عدم الجواز برأيه الخاص، من دون أن يطلقه فيجعله عامًّا، كقوله: «وهلَّا قال»[٨]، وغيرها من العبارات التي توحي بتواضع السيِّد وموضوعيَّته، واجتهاده في التفسير، فضلًا عن مقدرته للوصول إلى المعنى المراد، فهذا ضربٌ من الإنصاف العلميّ، والدِّقَّة في الحكم النقديّ، فهذا جارٍ على وجه القطع والتأكُّد التامِّ عنده باستقراء كلام أهل البيت عليهم السلام.

وممَّا يجدر ذِكره أنَّ السيِّد ابن طاووس كان لا يتحرَّج من ذكر أسماء المنقودين، وإن كانوا على مذهبه العقائديّ، وفي الوقت نفسه لا ينتقص بهم ولا يتعرَّض عليهم، ومن ذلك تفسير قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٩]، قوله: «فذكر جديٌّ أبو جعفر الطوسيّ رحمه الله أنَّ بعض المفسِّرين قال: الشاهد منه جبرئيل، وقال آخر:

الشاهد منه لسان النبيّ ﷺ، وقال آخر: الإنجيل، وربَّما قيل: القرآن»[١٠]. يقول عليّ بن موسى ابن طاووس: إنَّ كلَّ ما وجدته قد حكاه عنهم بعيد من مفهوم الآية: أمَّا مَن قال جبرئيل عليه السلام، فإنَّ جبرئيل ما كان يتلوه عليه السلام، بل كان قبل النبيّ عليه السلام ولم يكن منه. وأمَّا مَن قال لسانه، فبعيد؛ لأنَّ لفظ (يتلوه) ما كان يقتضيه. وأمَّا مَن قال الإنجيل، فالذي يتلو يكون بعده والإنجيل قبله، والقرآن فليس هو منه (صلوات الله عليه وآله)، وإنَّما روينا من عدَّة جهات عن الثقات: ومنها من طريق الجمهور عن الثعلبيّ في تفسيره[١١]. وعن الفقيه الشافعيّ ابن المغازلي في كتاب المناقب[١٢]، أنَّ الشاهد منه هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

مسائله في النقد

تطرَّق السيِّد عليّ بن طاووس في كتابه (سعد السعود) إلى نقد آراء معاني القرآن للفرَّاء في مسائل متعدِّدة تتعلَّق ببيان دلالات بعض الألفاظ القرآنيَّة، ومنها ما يأتي:

المسألة الأولى: في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[١٣].

فسَّر الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) هذه الآية المباركة بأنَّه «يقال: قد كانوا في شغل من أن ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر أن يروا فرعون وغرقه، ولكنَّه في الكلام كقولك: قد ضُربتَ وأهلك ينظرون فما أتوك ولا أعانوك، يقول: وهم قريب بمسمعٍ ومرأى، وبمرأى ومسمع»[١٤].

يستنتج الباحث من كلام الفرَّاء أنَّ أصحاب موسى عليه السلام انشغلوا عن فرعون وجنده ولم يسرُّوا بغرقه؛ لما اكتنفهم من هول البحر، وهذا المعنى لم يرتضِ به السيِّد ابن طاووس فيردُّ على ذلك بقوله: «يقول عليّ بن موسى ابن طاووس: إذا كان قد

عرف أصحاب موسى عليه السلام أنَّ فلق البحر لنجاتهم، وهلاك فرعون وأصحابه، فكيف لا يكونون متفرِّغين لنظرهم ومسرورين بهلاكهم؟!»[١٥]. وقد عضَّد السيِّد ابن طاووس كلامه بدليلٍ مفاده أنَّه «لو قيل لإنسان: أدخل هذه الدار ليدخل عدوّك وراءك فإذا خرجت من الدار وقعت الدار على عدوّك، فإنَّه يكون مسرورًا ومتفرِّغًا لنظر هلاك عدوِّه»[١٦].

ويشير المفسِّرون إلى أنَّ أصحاب موسى انشغلوا برؤية غرق فرعون وجنوده، وقد جُعل طرف البحر والماء الذي بينهم كالشباك الذي ينظر منه بعضهم إلى بعض[١٧]. وهذه الآراء تخالف ما ذهب إليه الفرَّاء فتضعِّف رأيه وتقوِّي رأي السيِّد ابن طاووس، ولذلك قال: «ويقال أيضًا: إنَّ أصحاب فرعون لـمَّا نزلوا خلف أصحاب موسى عليه السلام، جعل طرف البحر والماء الذي بينهم كالشباك الذي ينظر منه بعضهم إلى بعض، فعلى هذه الرواية كانوا ناظرين لهلاكهم ومسرورين به، ويقال: وإنْ كان هلاك فرعون وأصحابه بعد أن صار موسى وأصحابه على ساحل البحر وأيقنوا بالسلامة، فكيف لا يكونون ناظرين إليهم ومشغولين بالسرور بانطباق البحر عليهم؟ وهل يكون لهم عند تلك الحال وفي ذلك الوقت شغل إلَّا مشاهدتهم ونظرهم كيف يهلكون؟»[١٨].

وممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ موسى عليه السلام وأصحابه لم يصبهم الهلع والخوف من غرقهم كما حصل لفرعون وجنوده، وإنَّما كانوا على يقين من السلامة والنجاة؛ ولذلك انشغلوا وفرحوا برؤية غرق فرعون وجنوده؛ لعلمهم أنَّ هذا العمل هو من تجلِّيات الله سبحانه وتعالى، وإعجازٌ من إعجازاته، وهذا الرأي تبنَّاه السيِّد عليّ ابن طاووس رحمه الله، مخالفًا ورادًّا عمَّا ذكره الفرَّاء.

المسألة الثانية: في تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

﴿مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[١٩].

بيَّن الفرَّاء دلالة هذه الآية المباركة بقوله: «يعني: مبيِّنات من الأصل للحلال والحرام ولم يُنْسَخْنَ، وهنَّ الثلاث الآيات في الأنعام: أوَّلها: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[٢٠]، والآيتان بعدها. قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يقول: هنَّ الأصل ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، وهنَّ: ﴿المص﴾[٢١] و﴿المر﴾ و﴿الر﴾[٢٢]، اشتبهن على اليهود؛ لانَّهم أرادوا أن يعرفوا مدَّة الاسلام، وأُكُل هذه الأمَّة من حساب الجُمَل، فلمَّا لم يأتهم على ما يريدون قالوا: خلط محمَّد، وكفروا بمحمَّدﷺ»[٢٣].

والمتأمِّل في نصِّ الفرَّاء يجد أنَّه وقف على جملة من الأمور، وقد ردَّ عليها السيِّد ابن طاووس ردًّا علميًّا، نوجزها بما يأتي:

١. حدَّد الفرَّاء الآيات المحكمات بثلاث، ثمَّ سمَّى تلك الآيات، وهنا ردَّ السيِّد عليّ ابن طاووس مقالة الفرَّاء واعترض عليه بقوله: «يقول عليّ بن موسى ابن طاووس: من أين عرف الفرَّاء أنَّ مراد الله تعالى بالآيات المحكمات الثلاث المذكورات؟ ومن أين ذكر أنَّهن محكمات وقد وقع تحريم كثير في غيرهنَّ، وفي الشريعة وخصَّص عمومهنَّ؟ وظاهر قولهﷻ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ أنَّ الضمير راجع إلى الكتاب كلِّه، والكتاب يشتمل على محكم كثير يُعرف من ظاهره المراد به، فكيف عدل عن ذلك كلِّه؟»[٢٤]. وقد أشار جمع كبير من العلماء إلى أنَّ الآيات المحكمة كثيرة في القرآن الكريم[٢٥]، وهذا ما يؤيِّد كلام السيِّد ابن طاووس ويخالف الفرَّاء.

٢. خصَّص الفرَّاء أنَّ الآيات المشابهات هنَّ الآيات المقطَّعة. يردُّ السيِّد ابن طاووس على هذا التخصيص بقوله: «وأمَّا تعيينه الآيات المتشابهات

بالحروف، فهو أيضًا تحكُّم عظيم، وليس في ظاهرها ما يقتضي ذلك ولا إجماع على ما ذكره ولا حجَّة من عقل ولا نقل، والقرآن فيه من المتشابه الذي قد صنَّف المسلمون فيه المجلَّدات ما لا يخفى والإجماع على أنَّه متشابه»[٢٦].

ويرى الباحث أنَّ هناك نوعًا من القساوة من لدن السيِّد عليّ ابن طاووس على مقالة الفرَّاء، فربَّما أراد الفرَّاء أن يقول: إنَّ الأحرف المقطَّعة هي من الآيات المتشابهات، و(من) هنا تفيد التبعيض؛ فالفرَّاء قامة لغوِّية وقرآنيَّة، وله مكانته العلميَّة، من المحال أن يسهو، أو يقع في مثل هذا الخطأ. وبهذا الرأي خرجنا من حكم التعيِّين والتخصيص الذي قصده السيِّد ابن طاووس، وفي الوقت نفسه لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ السيِّد ابن طاووس له الحقُّ كلُّه في إشكاله على الفرَّاء في مسألة تعيين الأحرف المقطَّعة فقط بأنَّها آيات متشابهات دون غيرها؛ لعدم وجود قرينة تشير خلاف ذلك من وجهة نظر السيِّد ابن طاووس، ولذلك قال: «ثمَّ يُقال للفرَّاء: فقد وجدنا كثيرًا من المفسِّرين قد ذكروا تأويلًا لهذه الحروف وما جعلوها متشابهًا»[٢٧]، بمعنى أنَّ هذه الأحرف المقطَّعة خُرِّجت من إطار المتشابه، وأُدخلت في تأويلات مختلفة من لدن المفسِّرين[٢٨].

٣. يذكر الفرَّاء أنَّ اليهود «أرادوا أن يعرفوا مدَّة الإسلام، وأُكُل هذه الأمَّة من حساب الجُمَل، فلمَّا لم يأتهم على ما يريدون قالوا: خلط محمَّد، وكفروا بمحمَّد صلى الله عليه وآله»[٢٩]. ردَّ السيِّد ابن طاووس هذا القول: «أقول: وأمَّا قوله عن اليهود، فإذا كان القرآن قد تضمَّن أنَّهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، يعني حديث النبيّ صلى الله عليه وآله، فيكون قد عرفوا أنَّه خاتم الانبياء عليهم السلام، ودولته مستمرَّة إلى يوم القيامة، وذلك كافٍ لهم، وأمَّا ما حكاه عنهم من الطعن فيكون الطعن من سفهائهم، ومَن لا حكم لطعنه حتَّى يجعل القرآن

المتشابه ما قد اقتصر عليه؛ لأنَّ علماءهم كانوا عارفين؛ ولأنَّه ما كان يلزم عند علمائهم من ستر رسول الله ﷺ لمدَّة نبوَّته ورسالته عنهم ما طعنوا به؛ لأنَّ الملوك عادتهم ستر مثل هذه الأمور، بل كان ينبغي أن يعتقدوا ستر ذلك من حساب الجمل وجهًا من وجوه حكمة الآيات[٣٠].

ويرى الباحث أنَّ هناك توجيهًا جديدًا للسيِّد ابن طاووس في مسألة معرفة اليهود مدَّة الإسلام وعجزهم عن ذلك؛ إذ يرى السيِّد ابن طاووس أنَّ اليهود يعرفون مدَّة الإسلام ويعلمونها علم اليقين؛ لأنَّ ذلك كان مكتوبًا في التوراة والإنجيل، فضلًا عن علمهم بأنَّ دولة الإسلام مستمرَّة إلى يوم القيامة، فالطعن لا يكون إلَّا من سفهائهم.

المسألة الثالثة: في تفسير قوله تعالى ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣١].

ذكر الفرَّاء أنَّ دلالة لفظة (الحسنة): «هي لا إله إلَّا الله، والسيِّئة الشِّرك»[٣٢].

وهذا التأويل لم يرضَ به السيِّد عليّ ابن طاووس، وردَّه بقوله: «أقول: هذا تأويل غريب غير مطابق للمعقول والمنقول؛ لأنَّ لفظ (لا إله إلَّا الله) يقع من الصادق والمنافق؛ ولأنَّ اليهود تقول: لا إله إلَّا الله، وكلُّ فِرَق الاسلام تقول ذلك، وواحدة منها ناجية واثنان وسبعون في النار، وهذه الآية وردت مورد الأمان لمن جاء بالحسنة، فكيف يتأوَّلها على ما يقتضيه ظاهرها»[٣٣].

وأذهب إلى ما ذهب إليه السيِّد ابن طاووس، فقد فتَّشت في أمَّهات التفاسير، فلم أجد أحدًا من المفسِّرين يذكر أنَّ لفظة (لا إله إلَّا الله) هي الحسنة، باستثناء ابن كثير[٣٤]، نقلًا عن ابن مسعود، والغريب من الأمر أنَّ ابن مسعود لم يذكر هذا المعنى في تفسيره[٣٥]، والحقَّ أقول: إنَّ المفسِّرين لم يتَّفقوا على بيان تأويل هذه اللفظة، فكلُّ واحدٍ

منهم يرى أو ينقل دلالة يحسبها الأقرب للصواب[٣٦]، ومنهم السيِّد ابن طاووس، فهو يرى: «أنَّ الحسنة معرفة الله ورسوله، ومعرفة الذين يقومون مقامه صلوات الله عليه وعليهم، وهذا مطابق للمعقول والمنقول وللبشارة؛ لأنَّ أهل هذه الصفات ناجون على اختلاف الفرق واختلاف التأويلات»[٣٧]. أحسب قوله غاية بالدقَّة، فضلًا عن أنَّه خطَّ لِلَفظِهِ طريقًا للنَّجاة، ولا أظنُّ أحدًا يختلف مع مبناه في تأويل هذه اللفظة، وفي الوقت نفسه أنَّه ثبَّت أصلًا مهمًّا من أصول الدين، ألَا وهو الإمامة التي هي امتداد النبوَّة، والـمُنعم النظر يجد ذلك بين ثنايا كلامه.

المسألة الرابعة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[٣٨].

قال الفرَّاء: «ولم يقل: البرد، وهي تقي الحرَّ والبرد، فترك؛ لأنَّ معناه معلوم، والله أعلم، كما قال الشاعر[٣٩]: [البحر الوافر]

أُريد الخيرَ أيَّهما يليني ... وما أدري إذا يمَّمت وجها

يريد: أنَّ الخير والشر يليني؛ لأنَّه إذا أراد الخير فهو يتَّقي الشر»[٤٠].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ سبب اختيار لفظة الحرِّ بدلًا من الحرِّ والبرد عند الفرَّاء؛ لأنَّ معناه معلوم بنيَّة الاستصحاب والله العالم. بمعنى إذا قصد شيء يستصحب معه قرينه، فذِكرُ الحرِّ يستلزم أن يكون البرد في حكم الحرِّ وإن لم يُذكر في سياق الآية المباركة.

وهنا ردَّ ابن طاووس قول الفرَّاء جملةً وتفصيلًا، فقد استدلَّ بأربعة آراء خالفت ما ذهب إليه الفرَّاء، اثنين من هذه الآراء له، والآخرَين استدلَّهما من المفسِّرين ردًّا على الفرَّاء، وهي كالآتي:

الرأي الأول: «فيقال للفرَّاء: كيف قلت إنَّ ما يقي الحرَّ يقي الحرَّ والبرد، ومِن المعلوم خلاف هذا، فإنَّ الحرَّ يُتوقَّى بالثوب الواحد، وليس كذلك البرد».

الرأي الثاني: ولعلَّ معنى الآية أنَّ الله ﷻ لـمَّا ضمَّ إلى الحرِّ البأس بقوله ﷻ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾، والبأس مناسب الحرِّ، واقتصر على ما يناسبه.

الرأي الثالث: «أو لعلَّ أهل تلك البلاد الغالب عليها الحرّ، وهذا مرويّ عن عطا»[٤١].

الرأي الرابع: «أو لعلَّ المراد أنَّه ﷻ لـمَّا ذكر الأصواف والأوبار والأشعار التي تقي البرد ذكر ها هنا ما يقي الحرَّ من السراويل، فقد ذكر قتادة: أنَّ المعنى بسرابيل لباس القطن والكتَّان»[٤٢].

ولم يكتف السيِّد عند هذا الحدِّ، فقد ردَّ الفرَّاء في مبناه عندما استشهد بشاهد شعريّ، فقد أثبت أنَّ الشاهد الشعريّ الذي أتى به الفرَّاء لا ينطبق على ما قاله، «وقول الفرَّاء يريد أنَّ الخير والشرَّ يليه لا يقتضيه قول الشاعر؛ لأنَّه قال: أيّهما يليني، وأيّهما أي أحدهما، ومن المعلوم أنَّ الذي يلي الإنسان أحدهما»[٤٣].

المسألة الخامسة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٤٤].

ردَّ السيِّد ابن طاووس ما قاله الفرَّاء في بيان هذه الآية المباركة في موردَين:

المورد الأول: في معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾، إذ وقف على قول الفرَّاء بأنَّ: «المعنى: إلَّا من أزواجهم اللَّاتي أحلَّ الله لهم من الأربع لا يجاوزوا»[٤٥]. فردَّ السيِّد ابن طاووس الفرَّاء بلفظ التحضيض (هلَّا) معترضًا على ما قاله، فقال: «يقال للفرَّاء هلَّا احتمل أن يكون ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ على ظاهره؛ لأنَّ الله تعالى لـمَّا قال: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فكأنَّه قال غير مَلومينَ على أزواجهم، وما ملكت أيمانهم؛ لأنَّ الملامة إنَّما

يعـبَّر عنها بنحـو هذا اللفظ. فقـال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَـتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، مَـا: في موضع خفض، يقـول: ليس عليهم في الإماء وقت ينكحون ما شـاؤوا، فذلك قولـه حفظوا فروجهم إلَّا مـن هاذين»[٤٦]. قصد السـيِّد ابن طاووس (مَا) موضـع خفض عطفًا على الأزواج المخفوضة في (على أزواجهم).

المورد الثاني: في معنى قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، «فيه غير مذنبين»[٤٧]. ويقال للفـرَّاء: من أين قلت: إنَّ الملامة معناها الذَّنب؟ ويقال: يُلام الإنسـان على ما لا يكون ذنبًا شرعًا من الغلط في تدبير الأمور؛ ولأنَّ رفع اللوم عنهم أعمُّ من الذنب، فلأيِّ حالٍ عـدل عن عموم اللفظ إلى ما يقتضي تخصيصه؟ ولم يذكـر حجَّة على ذلك؟[٤٨]. بمعنى أنَّ (الملامـة) لا تدلُّ على المذنب فقط، وإنَّما هي لفظةٌ أعمُّ من الذَّنب، ولم يُشِر الفرَّاء إلى عمومها، وإنَّما وقف على تخصيصها بالذنب، وفي الوقت نفسه لم يثبت تخصيصها بدليل قطعـي يثبت ذلك التخصيص، وهذا المعنى لم ينفرد به السـيِّد ابن طاووس، وإنَّما ذكره جملة من المفسِّرين في أنَّ الملوم هي لفظة تُعطي دلالة أكبر من الذَّنب[٤٩].

المسألة السادسة: في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٥٠].

ذكر الفرَّاء بأنَّ الله سـبحانه وتعالى «جعل السماوات والأرضين كالشيئين، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَـقِّ﴾[٥١]، ولم يقل: وما بينهنَّ، ولو كان بينهـنَّ لـكان صوابًا»[٥٢]. هنا بيَّن الفرَّاء أنَّ لفظة (قالتا) إشـارة إلى الشـيئَين كما في (بينهـما) من قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُما﴾ بدليل أنَّه لم يقل: (بينهن) أو (قلن).

ويرى الباحث أنَّ استنتاج الفرَّاء مقبول، وليس فيه لبس أو خطأ، لكن لا نستطيع أن نجـزم بذلـك مطلقًا، ولذلك ردَّ السـيِّد ابن طـاووس الفرَّاء بجملـة احتماليَّة تقبل

التأويـل، قال فيها: «يُقال للفـرَّاء: هلَّا قلتَ: إنَّ المقتضي للتثنية دون الجمع لعلَّ الله ﷻ أراد تثنية الجمعَين، ولم يرد ذِكر أفرادهما، كما يقال: جاءني فريقان وهما جمعان»(٥٣).

ويـرى الباحث أنَّ ما قاله السـيِّد ابن طـاووس ناهض ومقبول، لكـن لا يؤثِّر في سياق الآية المباركة ولا بهيئتها، بدليل أنَّه بكلِّ الأحوال بنية الإفراد أو الجمع ثنَّى فقال: (بينهما)، وتعامل معها بنية المثنى سـواء أكان تثنيـة المثنَّى أم تثنية الجمع، ولكن ممَّا يجدر التنبيـه إليه أنَّ الفرَّاء جزم بالحكم القطعيّ أنَّه «لـو كان بينهنَّ لكان صوابًا» بنيَّة الجمع، وهذا أدَّى إلى قبوله وجهًا جديدًا لم يذكره القرآن، فأدَّى إلى إثارة السيِّد ابن طاووس فردَّ على الفرَّاء ردًّا قاسيًا، قال فيه: «وأمَّا قول الفرَّاء: لو كان بينهنَّ كان صوابًا، أتراه أراد في مجرَّد العربيَّة أو هذه الآية؟ فإن كان أراد مجرَّد العربيَّة فمن أين عرف أنَّ مراد الله ﷻ في هـذه الآية مجرَّد العربيَّة دون معنى غيرهـا زائد عليها؟ وإن كان أراد هذه الآية، فتحكُّم وتهجُّـم عـلى الله ﷻ، ولعلَّ المراد بذِكر مـا بينهما ولم يقل ما بينهـنَّ: أنَّ الحديث في هذا القرآن الشريف مع بني آدم وهم بين السماوات والأرضين وليسوا ساكنين بين طبقاتها، فكان لفظ بينهما أبلغ في المراد وأحقُّ بالتأويل»(٥٤).

ويـرى الباحث أنَّ السـيِّد ابن طاووس قـد بالغ في ردِّه على الفـرَّاء، وأظنُّ- والله العـالم- أنَّ الفرَّاء قصد أنَّ (بينهما) هي الأصل والأصحُّ، وأنَّ بينهنَّ ليس خطأ، فيجوز أن تُحمل على الصواب، بدليل أنَّ لفظة (بينهنَّ) ذُكرت في القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥٥)، فاختيار القرآن الكريم للآية المباركة- بحسب القرائن المذكورة في المقال والمقام- هـو الأصحُّ، والأبلغ، والأدقُّ، والأحقُّ في التأويل باتِّفاق جميع العلماء؛ لذلـك لا نسـتطيع أن نقول: إنَّ الفـرَّاء فضَّل لفظـة (بينهنَّ) على (بينهـما) المذكورة في خصوص هذه السورة.

المسألة السابعة: في تفسير (قَدَّرُوهَا) من قوله تعالى ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[٥٦].

وقف الفرَّاء على دلالة لفظة (قدَّروها) فقال: «يريد قدَّروا الكأس على ريِّ أحدهم لا فضل فيه، ولا عجز عن ريِّه، وهو ألذُّ الشراب، وقد روى بعضهم عن الشعبيّ: قُدِّرُوهَا تَقْدِيرًا، والمعنى والله أعلم وأجلُّ: قُدِّرت لهم وقُدَّروا لها»[٥٧].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ الفرَّاء كان يريد تقدير الشراب، وهنا ردَّ السيِّد ابن طاووس على هذا التوجيه بقوله: «يقال للفرَّاء: من أين عرفت أنَّ الله جلَّ جلاله يريد تقدير الشراب؟ بل الكأس، ولو كان المقصود بالتقدير الشراب؛ لكان يقول قدَّروه تقديرًا، والتأنيث الحقيقيّ في اللفظ يقتضي أنَّها الكأس دون الشراب.

أقول: وليس المراد من تقدير الكأس مجرَّد الشرب منه، فإنَّ النظر للكأس إذا كان جميلًا في التقدير، ومكمِّلًا في التحرير كان أطيب للشُّرب منه، فإنَّ عين الشارب تقع على الكأس قبل الشراب، ولو قال الفرَّاء: يُحتمل أن يكون تقدير الكأس على قدر ذلك المقام وعلى قدر الإنعام والإكرام، كان أليق بالإفهام»[٥٨]، وقول السيِّد فيه نظر من جوانب عدَّة:

١. إنَّ لفظ الشراب هو مذكَّر، وقد جاء ضمير الإناث، فلو قصد الشراب لقال: وقدَّروه تقديرًا، ولكن جاء الضمير للإناث قصد الكأس من دون الشراب.

٢. هذا القول لم ينفرد به السيِّد ابن طاووس لوحده، بل ذكره كثير من المفسِّرين[٥٩].

٣. ما يحسب للسيِّد ابن طاووس أنَّه أعطى بُعدًا جديدًا للفظة (قدَّروها) زيادة عن تقدير الشراب، فإنَّ النظر للكأس إذا كان جميلًا في التقدير، يرى الكأس أطيب من تقدير الشرب، فإنَّ عين الشارب تقع على الكأس قبل الشراب.

٤. لم يُغَلِّط السيِّد ابن طاووس الفرَّاءَ في توجيهه، وإنَّما أراد توجيهًا أدقّ وأليق للأفهام.

المسألة الثامنة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٦٠].

يقول الفرَّاء في تفسير هذه الآية المباركة «هو طهر ليس بنجس؛ لما كانت في الدنيا مذكورة بالنجاسة»[٦١].

ويرى السيِّد ابن طاووس خلاف ذلك، ففي هذا التفسير مآخذ وردود، فقال: «فيُقال للفرَّاء: أنت قدوة في اللغة والعربيَّة، فهلَّا قلت: (طَهُورًا) بلفظ المبالغة يقتضي أبلغ صفات الطهارة في نفسه ويطهر مَن يشربه: بأن يزيدهم طهورًا إلى طهورهم، ولا يحوجهم إلى بول ولا طهارة منه، وكان هذا موضع المنَّة عليهم دون ما ذكره الفرَّاء؛ لأنَّه شراب الدنيا يصير بولًا نجسًا، ولو أردنا ذِكر ما في كتابه من الأخذ عليه كنَّا قد خرجنا عمَّا قصدنا إليه، لكن هذا بحسب ما يقع اختيارنا عليه»[٦٢].

ويتبيَّن ممَّا تقدَّم أن هذا المعنى الذي قاله الفرَّاء لم يرتضِ السيِّد ابن طاووس؛ لأنَّ فيه تكلفًا، فهو لا يقصد أنَّ الطهور ليس بنجس في الآخرة، قياسًا للدنيا التي بالطهور يزال بها النجاسة، وإنَّما مبالغة يقتضي أبلغ صفات الطهارة في نفسه ويطهر مَن يشربه: بأن يزيدهم طهورًا إلى طهورهم، ولا يحوجهم إلى بول ولا طهارة منه، وكان هذا موضع المنَّة عليهم دون ما ذكره الفرَّاء.

المسألة التاسعة: في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[٦٣].

ذكر الفرَّاء آراءً عدَّة في اختلاف قراءة هذه الآية المباركة، فقال:

الرأي الأول: «فقال بعضهم: هذا لحن، ولكنَّا نمضي عليه لئلَّا نخالف الكتاب»[٦٤]،

وأيَّد ذلك أبو عمرو بن العلاء[٦٥]. وهنا إقرار واضح بأنَّ القرآن الكريم فيه لحنٌ وخطأ. واستشهد الفرَّاء بمن قال بهذا الرأي فقال: «وحدَّثني أبو معاوية، عن هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة أنَّها سُئلت عن قوله في النساء: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ... وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٦٦]، وعن قوله في المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾[٦٧]، وعن قوله: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، فقالت: يا بن أخي، هذا كان خطأ من الكاتب، وقرأ أبو عمر: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، واحتجَّ بأن قال: بلغني عن بعض أصحاب محمَّد أنَّه قال: إنَّ في المصحف لحنًا وستقيِّمه العرب، ولست أشتهي أن أخالف الكتاب»[٦٨].

ردَّ السيِّد ابن طاووس هذه التهمة بقوله: «وأمَّا قول مَن قال: إنَّه لحن، ولكنَّه يمضي عليه، فلعلَّه يعتقد أنَّ جامع القرآن ممَّن يجوز الطعن على جمعه!.. وأمَّا الذي يقال عنه من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ في القرآن لحنًا، فقد ذكر ابن قتيبة أنَّه عثمان بن عفَّان»[٦٩].

ولعلَّ رفض السيِّد ابن طاووس لمسألة لحن مَن كتب القرآن تعود إلى أنَّه لو «ظفر اليهود والزنادقة بمسلم يعتقد أنَّ في القرآن لحنًا جعلوه حجَّة على فسادهم»[٧٠]، لعلَّ ابن جرير الطبريّ كان أبلغ في ردِّه لهذه الشبهة، فقال: «لو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كلِّ المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه وفي اتِّفاق مصحفنا ومصحف أُبيّ في ذلك ما يدلُّ على أنَّ الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ، مع أنَّ ذلك لو كان خطأ من جهة الخطِّ لم يكن الذين أُخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم ولقَّنوه الأمَّة تعليمًا على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءة على ما هو به في الخطِّ مرسومًا أدلُّ الدليل على صحَّة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب»[٧١].

الرأي الثاني: «قرأ بعضهم: إنْ مخفَّفة هذان ساحران، وفي قراءة عبد الله: وأُسِرُّوا النَّجوى إِنْ هَـذَان سَاحران»[٧٢]، وهنا جاءت إن بمعنى نعم، وساحران خبر لمبتدأ محذوف تقديره: لهما ساحران[٧٣].

الرأي الثالث: «في قراءة أُبيّ: إن ذان إلَّا ساحران»[٧٤]، وهذه هي قراءة شاذَّة مذكورة في هذه الآية[٧٥].

الرأي الرابع: «يرى الفرَّاء فقراءتنا بتشديد إنَّ وبالألف على جهتين: إحداهما: على لغة بني الحرث بن كعب ومَن جاورهم، وهم يجعلون الآيتين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف»[٧٦]، أي إنَّهم جعلوا الألف للتثنية، وأعربوا المثنى تقديرًا[٧٧]، أنشدني رجل من الأسد عنهم[٧٨]: [الطويل]

مساغًا لنا باه الشجاع لصمّما فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى

وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خطُّ يد أخي أعرفه، وذلك وإن كان قليلًا أقيس؛ لأنَّ العرب قد قالوا: مسلمين، فجعلوا الواو تابعة للضمَّة؛ لانَّ الواو لا يعرف به، قالوا: رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسر الميم، فلـمَّا رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسرُ ما قبلها وثبت مفتوحًا تركوا الألف في كِلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان، إلَّا بني كنانة فإنَّهم يقولون: رأيتُ كِلَا الرجلين ومررتُ بكلَي الرجلين، وهي قبيحة قليلة مضوا على القياس.

والوجه الاخر: أن نقول: وجدت الألف من هذا دعامه وليست بلام فعل، فلمَّا ثبت ردَّت عليها نونًا، ثمَّ تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول في كلِّ حال، كما قالت العرب: الّذي، ثمَّ زادوا نونًا لا تدلُّ على الجماع، فقالوا الّذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم، كما تركوا هذان بالألف في رفعه ونصبه وخفضه، وكنانة يقولون: الّذون»[٧٩].

وهنا لم يرتضِ السـيِّد ابن طاووس قول الفرَّاء في اسـتعمال ماحكاه بعض العرب، فقـال: «وأمَّـا تأويل الفـرَّاء وما حكاه من اسـتعمال بعض العرب، فلـو كان القرآن قد استعمل هذا في مواضع من القرآن على مقتضى هذه اللُّغة كان ما يخفى ذلك على الصدر الأوَّل، وكانـوا ذكـروه وكشـفوه، أقول: فـكان يمكن أن يقـال: إنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ حكى هذا القول عن غيره جَلَّ جَلالُهُ، فلعلَّ الّذي حكى عنه قال: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَـاحِرَانِ﴾، فأراد الله جَلَّ جَلالُهُ أن يحكي لفظ قائله على وجهه كما جرت عادة كثير من كتب الله جَلَّ جَلالُهُ يحكي فيها قول كلِّ قائـلٍ على وجهه من غلطهم وغيره، كما يحكـي الله جَلَّ جَلالُهُ كلمات الكفر عن أهلها بلفظها، فإنَّه لم يمنع من هذا مانع على اليقين، فهو أقرب من قول كثير من المفسِّرين»[٨٠].

وهـذا التوجيه مقبول لا غبار عليـه؛ إذ إنَّ هناك كثيرًا من الألفـاظ القرآنيَّة نزلت بلسـان الكفَّار وهـي مرفوضة؛ لأنَّ فيها كفرًا بالتصريح، لكـن القرآن الكريم أوردها، والأمر نفسـه في ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، فهي نزلت بلسان قوم وليس بلسان الله تعالى، لكنَّ القـرآن أوردها على علَّتها، كما أورد قول الكفَّار على علَّته، وهذا الأمر يخلِّصنا من كثـير من الاعتراضات والمآخذ، ولعلَّ من أهـمِّ الاعتراضات والمآخذ التي اعترض بها السـيِّد ابن طاووس عـلى الفرَّاء: «يقول عليّ بن موسـى ابن طـاووس: ألَا تعجب من قـومٍ يتركون مثل عليّ بن أبي طالب أفصح العرب بعد صاحب النبوَّة وأعلمهم بالقرآن والسـنَّة ويسـألون عائشـة؟ أما يَفهم أهل البصائر أنَّ هذا لمجرَّد الحسد أو لغرض بعيد من صواب الموارد والمصادر؟ ثمَّ كيف يروى مثل هذا ولا ينكر ولا يترك؟ وهي تطعن بهـذا القـول على مَن جمع المصحف، وعـلى كاتبه، وعلى مَن حضر مـن الصحابة، وعلى ما بلغه ذلك من الصدر الأوَّل!»[٨١].

ونسـتنتج ممَّا تقدَّم من كلام السـيِّد ابن طاووس وبقيَّة العلماء أنَّه لا يجوز اسـتعمال القـراءة المنقولـة بطريق الآحاد، والقرآن يجـب أن يكون منقولًا بالتواتـر؛ إذ لو جوزنا

إثبات زيادة في القرآن بطريق الآحاد؛ لما أمكننا القطع بأنَّ هذا الذي هو عندنا كلُّ القرآن؛ لأنَّه لـمَّا جاز في هذه القراءات أنَّها مع كونها من القرآن ما نقلت بالتواتر جاز ذلك في غيرها، فثبت أنَّ تجويز كون هذه القراءات من القرآن يطرق جواز الزيادة والنقصان والتغيير إلى القرآن، وذلك يُخرج القرآن عن كونه حجَّة، وكذلك لا يجوز الطعن في القراءة المشهورة، فلو حكمنا ببطلانها جاز مثله في جميع القرآن؛ وذلك يفضي إلى القدح في التواتر، وإلى القدح في كلِّ القرآن وأنَّه باطلٌ، فضلًا عن ذلك إنَّ المسلمين أجمعوا على أنَّ ما بين الدَّفتين كلام الله تعالى، وكلام الله تعالى لا يجوز أن يكون لحنًا وغلطًا، فثبت فساد ما نُقل عن عائشة وعن عثمان بن عفان أنَّ فيه لحنًا وغلطًا بمضمون صريح نصِّ الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٨٢].

المسألة العاشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٨٣].

أوَّل الفرَّاء الآية المباركة على المجاز، فقال: «يبادرون بالأعمال ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، أي سبقت لهم السعادة»[٨٤].

وهذا المعنى أشار إليه ابن عبَّاس قبل الفرَّاء[٨٥].

وردَّ ذلك السيِّد ابن طاووس هذه التأويل بقوله: «أقول: إذا احتمل اللفظ الحقيقة فما الّذي يحمل على تفسيره بالمجاز، فإنَّ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، هو المعلوم من الحال بالضرورة؛ لانَّهم سبقوا أعمالهم بالمعرفة بالّذي كلَّفهم إيَّاها وبالرسول الّذي دلَّهم عليها، وبمعرفة تلك الأعمال الصالحة، وكانوا سابقين لها وهي متأخِّرة عن سبقهم، وهو أبلغ في مدحهم»[٨٦].

ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه السيِّد ابن طاووس، فالكلام أقرب للحقيقة منه

إلى المجاز، فهم يتنافسون في الإكثار من أعمال الخير، فالسبق تمثيل للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق إلى الغاية، أو المعنى وهم محرزون لما حرصوا عليهم، والجدير بالذِّكر أن توجيه السيِّد ابن طاووس لهذه الآية لم ينفرد به، وإنَّما ذكره كثير من المفسِّرين(٨٧).

المسألة الحادية عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾(٨٨).

يرى الفرَّاء أنَّه في الذِّكر الحكيم «لم يقل: فيفزع، فجعل فَعَلَ مردودة على يَفْعَل، وذلك أنَّه في المعنى: وإذا نُفخ في الصورة ففزع، ألَا ترى أنَّ قولك: أقوم يوم تقوم، كقولك: أقوم إذا تقوم فأجيبت بفَعَلَ؛ لأنَّ فعل ويفعل يصلحان مع إذا. فإن قلت: فأين جواب قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ مع إذا. قلت: قد يكون في فعل مضمر مع الواو، كأنَّه قال: وذلك يوم ينفخ في الصور، فإن شئت قلت: جوابه متروك كما قال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾(٨٩)، قد ترك جوابه؛ لأنَّه كلامٌ معروفٌ، والله أعلم»(٩٠).

هناك إشكالان أشكلهما السيِّد ابن طاووس على الفرَّاء في تأويل هذه الآية المباركة:

الإشكال الأوَّل: إنَّ الفرَّاء وجَّه وزن فعل مردودة على يفعل وبنى على ذلك التأويل، ويرى السيِّد ابن طاووس أنَّ هذا الوجه فيه إغراق في تأويل المضارع بمعنى المضارع، وثمَّ وجه آخر يخلو من التعسف، أَلَا وهو أنَّ مجيء الفعل الماضي كان بقصد، ولا يحتاج تأويل، فزع بمعنى يفزع، هذا الوجه تبنَّاه السيِّد ابن طاووس، فقال: «يقال للفرَّاء: هلَّا جوَّزت أن يكون معنى ففزع لعلَّ المراد منه سرعة فزعهم من النفخة، وتعجيل انزعاجهم مع النفخة؛ لأنَّه لو قال جَلَّ جَلَالُهُ بلفظ الاستقبال: فيفزع، كما ذكره الفرَّاء، عسى

كان يجوِّز أحد أنَّ الفزع ما يتعَّقب النفخة، أو يحتمل السامع لها تماسكًا أو صبرًا، فأتى بلفظ الفعل الماضي إشارة إلى سرعة فزعهم وانزعاجهم»[٩١]. فبحسب ترجيح السيِّد ابن طاووس أنَّه يوجد قصديَّة في مجيء الفعل الماضي بدل المضارع؛ لأنَّ المراد منه سرعة فزعهم من النفخة، وتعجيل انزعاجهم مع النفخة، أمَّا دلالة المضارع تقتضي احتمال السامع لها تماسكًا أو صبرًا.

الإشكال الثاني: ذكر الفرَّاء أنَّ جواب ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قد يكون في فعل مُضمر مع الواو، فإن شئت قلت: جوابه متروك، وشبه ذلك: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٩٢]، قد ترك جوابه؛ أنَّه كلامٌ معروفٌ، والله أعلم.

وردَّ السيِّد ابن طاووس على هذا الرأي بقوله: «ويقال للفرَّاء، عن قوله: أين جواب ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾، أنَّ الجملة في تمام الآية كافٍ في الجواب، وما يحتاج أن يقال متروك ولا فعل مضمر مع الواو»[٩٣].

والمتأمِّل في كلام السيِّد كأنَّه أراد أن يخلِّصنا من المماحلة والتعسُّف في التأويل، فالنصُّ واضح الدلالة يخلو من اللبس وعدم الفهم، فَلِمَ التأويل؟!.

المسألة الثانية عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٩٤].

قال الفرَّاء: «وفي قراءة عبد الله وأُبيّ: «﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وهو أبٌ لهم، وكذلك كلُّ نبيّ، وجرى ذلك؛ لأنَّ المسلمين كانوا متواخين، وكان الرجل إذا مات عن أخيه الّذي آخاه ورثه دون عَصَبَته وقرابته، فأنزل الله ﷻ النبيّ من المسلمين بهذه المنزلة وليس يرثهم، فكيف يرث المواخي أخاه، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٩٥]، أي: ذلك في اللوح المحفوظ عند الله»[٩٦].

الغريب من الأمر أنَّ الآية كانت تشير إلى ولاية النبيّ، وقد تركها الفرَّاء على الرغم من ورودها مورد تعظيم ولهذا ردَّ السيِّد ابن طاووس قول الفرَّاء: «يقول عليّ بن موسى ابن طاووس: كيف يترك ظاهر هذه الآية الشريفة في ولاية النبيّ ﷺ على المؤمنين كافَّة، وأنَّه أولى بهم من أنفسهم، وهي قد وردت مورد التخصيص له والتعظيم بما أورد فيها من ذكر الزوجات أنَّهنَّ كالأمَّهات في التحريم لهنَّ على المؤمنين؟ ويقال: مثل هذا الذي ذكره الفرَّاء من خلاف الظاهر الواضح، وهل في الآية ما يدلُّ على أنَّ هذه الولاية والأولويَّة للنبيّ عليه السلام على المؤمنين على سبيل المثل كما زعم الفرَّاء؟ وهل ذكر زوجاته عليهنَّ السلام يقتضي حديث ميراث، أو معطوف على ما يدلُّ على الإرث»[٩٧].

وكذلك ردَّ السيِّد ابن طاووس متعجِّبًا من كلام الفرَّاء عندما أشار إلى أنَّ معنى ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ أنَّه اللوح المحفوظ ، وهو أمر لا يحتاج إلى بيان، فقال: «ثمَّ من العجب قول الفرَّاء: إنَّ معنى ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ أنَّه اللوح المحفوظ، وما الذي صرفه عن أن يكون المراد في القرآن؟ وهو المتضمِّن لذلك تصريحًا وتحقيقًا وعيانًا ووجدانًا، وأيّ حجَّة تدلُّ من ظاهر هذه الآية على أنَّه اللوح المحفوظ؟ فهلَّا ذكر شبهة أو ما يقارن الحجَّة»[٩٨]؟!.

المسألة الثالثة عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٩٩]. «أو ها هنا بمعنى بل، كذلك في التفسير مع صحَّته في العربيَّة»[١٠٠].

نستشفُّ من ذلك أنَّ الفرَّاء جوَّز ورود (أو) بمعنى (بل)؛ لصحَّتها وورودها في المدوَّنة العربيَّة، ومن ينعم النظر في النصِّ يرى كأنَّ الفرَّاء شاكٌّ في صحَّتها في التفسير من جهة، وكأنَّه لا يوجد وجه آخر في معنى (أو)، ولذلك ردَّ السيِّد ابن طاووس هذين الإشكالَين بقوله: «يقال للفرَّاء: هذا تأويل كأنَّه من شاكٍّ في صحَّة التفسير وفي صحَّته في العربيَّة، فهلَّا ذكر له وجهًا؟ أو كان تَرَكَ الآية بالكلِّيَّة ولا يوهم بهذا الشكِّ الطعن على

المفسِّرين وأنَّها مخالفة للعربيَّة»[١٠١]، ودعَّم السيِّد ابن طاووس كلامه بما ذكره الطوسيّ قائلًا: «وهلَّا قال كما قال جدِّي أبو جعفر الطوسيّ في التأدُّب مع الله تعالى في تأويل هذه الآيـة، فإنَّه قال: في معنى أو ثلاثة أقوال: أن تكون بمعنى الواو، وتقديره: إلى مائة ألف وزيـادة إليهم، والثـاني: أن تكون بمعنى بل، على ما قال ابن عبَّاس، والثالث: أن تكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنَّه قال: أرسلناه إلى إحدى العدَّتين»[١٠٢]. والمنصف يقرُّ بأنَّ الطوسيّ كان أدقّ في مبناه من مبنى الفرَّاء، وهذا المعنى أشار إليه السيِّد ابن طاووس بقولـه: «أقول: فهذه وجـوه تصون عن الّذي ذكـره الفـرَّاء، وإن كان يمكن أن يكون ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ على معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١٠٣]، فيكون معناه: إنّهم يزيدون على مائة ألف»[١٠٤].

المسألة الرابعة عشرة: في تفسير قوله تعالى ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[١٠٥].

أشـار الفرَّاء إلى قراءة شـاذَّة لا يعتدُّ بهـا في هذه الآية، فقـال: «وفي قراءة عبد الله: (وأمددناهم بعيسٍ عِينٍ) والعيساء البيضاء والحوراء»[١٠٦].

والغريـب من الأمـر أنَّ الفرَّاء يـورد قراءةً فيهـا تدليس لما بين الدَّفَّتين، وهذا ممَّا يُتعجَّب منه؛ ولذلك أشـكل السـيِّد ابن طاووس عليه، فقال: «أقول: وما أدري كيف ذكـر قراءة عبد الله واختلاف لفظين على خلاف المصحف؟ وكذا يتضمَّن تأويل القرآن اختلافًا كثيرًا، وكيف احتمل المسـلمون تجويـز صحَّة هذا، والطعن على لفظ المصحف الشريف؟ ومن هذه الوجهة طعنَّاه»[١٠٧].

المسـألة الخامسة عشرة: في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[١٠٨].

ذكر الفرَّاء إشـكالًا يقول فيه: «يقول القائل: كيف اسـتثنى موتًا في الدنيا قد مضى

من موتٍ في الآخرة؟ ثمَّ ذكر أنَّ إلَّا بمعنى سوى»[١٠٩].

يردُّ السيِّد ابن طاووس على هذا الإشكال الذي لم يعطِ الفرَّاء له جوابًا بقوله: «أقول: واعلم أنَّ السؤال على الفرَّاء باقٍ بحاله؛ لأنَّه يقال له: إذا قدرنا أنَّ الأمر كما ذكرت لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى، فما معنى قولك سوى الموتة الأولى؟ وقد قال جلَّ جلاله قبلها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾، والموتة الأولى ما كانت فيها، فأيّ معنى لقول الفرَّاء: إنَّهم لا يذوقون في الجنَّة موتة سوى الموتة في الدنيا»[١١٠].

ومن هنا نستنتج أنَّ قول الفرَّاء لم يكن دقيقًا، فلا يوجد أي دليل أو إثبات يبيِّن وجود موتة أخرى في الجنَّة، ولذلك رفض هذا القول السيِّد ابن طاووس جملةً وتفصيلًا، وردَّه بتأويل آخر: «فأقول أنا: لعلَّ المراد: أنَّ هذا الوصف لـمَّا كان عن المتَّقين، وكانوا أيَّام الحياة الدنيا مشغولين بعمارة الآخرة، فلمَّا حضرهم الموت في الدنيا كان ذلك في وقت اشتغالهم بعمارة آخرتهم، فكان ذلك الموت كأنَّه في الدار الاخرة؛ لأنَّ الإنسان إذا جاءه موت، وهو مشغول بعمارة دار وقائم في بنائها وبنى أبوابها معنًى وصورةً، جاز أن يُقال مات فيها. أو لعلَّ حال المتَّقين لـمَّا كانوا مكاشفين بالآخرة، فكأنَّهم كانوا في الدنيا وأرواحهم ساكنة في الجنان وحاضرة في ذلك المكان، فلمَّا جاءهم موت الدنيا كان كأنَّه أتاهم وهم في دار الآخرة»[١١١].

ويرى الباحث أنَّ كلام السيِّد ابن طاووس أقرب إلى المنطق والقبول من تأويل الفرَّاء، ودعَّم السيِّد ابن طاووس كلامه بحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتَّقين: «إنَّ أرواحهم معلَّقة بالمحلِّ الأعلى»[١١٢]، وقال الشاعر[١١٣]: [البحر البسيط]

فالروح في غربة والجسم في وطني ... جسمي معي غير أنّ الروح عندكم

ونستنتج ممَّا تقدَّم من كلام السيِّد ابن طاووس أنَّ المؤمن تكون روحه معلَّقة

بالآخرة، وحياة الدنيا عنده موتته الأولى؛ ليستعدَّ للخلود الأبديّ، وهذا هو تفكير العارفين بالله تعالى.

المسألة السادسة عشرة: في تفسير قوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾[١١٤].

بيَّن الفرَّاء معنى كلٍّ من: الكوب، والأباريق، فقال: «الكوب: ما لا أذن له ولا عروة له، والأباريق: ذات الآذان والعُرى»[١١٥].

والجدير بالذِّكر أنَّ توضيح الفرَّاء لمعنى (الكوب، والأباريق) كان توضيحًا في اللغة، على حين أنَّ دلالتها أكبر من ذلك، ولذلك اعترض السيِّد ابن طاووس على هذا البيان، وأعطى بيانًا مجازيًّا، فقال: «هذا آخر لفظه بالمعنى، فهلَّا ذكر ما يحتمله خلق الأكواب والمنَّة بها على عادته في كثير من كتابه؟ فإنَّه ربَّما احتمل أنَّ الله ﷻ لـمَّا كان الناس في الحياة الدنيا يستعملون الأباريق ويتكلَّفون رفعها بأيديهم احتاجوا إلى عراة لها، ولـمَّا كان أهل الجنة إذا أرادوا شيئًا كان، فإن شاءوا أن تصعد الأكواب إلى أفواههم؛ ليشربوا منها بغير إمساك منهم لها، كان ذلك، فجعل في الجنة ما له عروة لمن يريد رفعه بيده، وما لا عروة له لمن يريد الشرب منه بغير إمساكه»[١١٦].

وممَّا تجدر إليه الإشارة أنَّ جلَّ المفسِّرين ذكروا ما قاله الفرَّاء، ولم يذكر أحدٌ من علماء التفسير، بحسب اطِّلاع الباحث، هذا التوجيه المجازيّ الذي ذكره السيِّد ابن طاووس.

المسألة السابعة عشرة: في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾[١١٧].

ذكر الفرَّاء تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾: «إنَّ الشياطين لـمَّا رجمت وحرست منها السماء، قال إبليس: هذا نبيّ قد حدث، فبثَّ جنوده في الآفاق وبعث تسعة منهم من اليمن إلى مكَّة، فأتوا النبيّ ﷺ فوجدوه وهو ببطن نخلة قائمًا يصلِّي ويتلو القرآن،

فأعجبهم ورقُّوا له وأسلموا، فكان من قولهم ما قصَّه الله ﷻ في هذه السورة»[١١٨].

«أقول: في هذه القصَّة عبرة أن يكون رسل إبليس سعادتهم في طيّ شقاوتهم، وسعادة الغلمان والاتِّباع لشقاوة سلطانهم المطاع، وأنَّ الجنَّ تطيع مع قوَّتها، وكثير من بني آدم مع ضعفهم ماتوا على الكفر والامتناع، وأنَّ إبليس مع قوَّة معرفته وحيلته اختار لطاعته من كان لمعصية، فكيف يصلح الثقة باختيار مَن هو دونه في بصيرته»[١١٩]؟!.

نتائج البحث

١. يرى السيِّد عليّ ابن طاووس أنَّ موسى عليه السلام وأصحابه لم يصبهم الهلع والخوف من غرقهم كما حصل لفرعون وجنوده، وإنَّما كانوا على يقين من السلامة والنجاة؛ ولذلك انشغلوا وفرحوا برؤية غرق فرعون وجنوده؛ لعلمهم أنّ هذا العمل هو تجلِّيًا من تجلِّيات الله سبحانه وتعالى، وإعجازًا من إعجازاته. وهذا الرأي مخالف لقول الفرَّاء الذي يرى أنَّ أصحاب موسى قد انشغلوا عن فرعون وجنده ولم يسرُّوا بغرقه؛ لما اكتنفهم من هول البحر.

٢. أثبت السيِّد عليّ ابن طاووس أنَّ الحسنة هي معرفة الله ورسوله، ومعرفة الذين يقومون مقامه صلوات الله عليه وعليهم، بخلاف توجيه الفرَّاء لدلالة الحسنة التي تعني عنده : لا إلهَ إلَّا الله، والسيِّئة الشرك.

٣. أثبت السيِّد عليّ ابن طاووس أنَّ الضمير الهاء في قدروها تعود إلى الكأس؛ لأنَّها مؤنَّثة، بخلاف ما يراه الفرَّاء أنَّها تعود إلى الشرف، وأنَّه تعامل مع الهاء معاملة المؤنَّث المجازي.

٤. خالف السيِّد عليّ ابن طاووس الفرَّاء في دلالة (شرابًا طهورًا)، فيرى الفرَّاء هو طهر ليس بنجس، لما كانت في الدنيا مذكورة بالنجاسة، أمَّا السيِّد ابن طاووس فيرى خلاف ذلك، فقال: بلفظ المبالغة يقتضي أبلغ صفات الطهارة في نفسه ويطهر مَن يشربه: بأن يزيدهم طهورًا إلى طهورهم، ولا يحوجهم إلى

بول ولا طهارة منه، وكان هذا موضع المنَّة عليهم دون ما ذكره الفرَّاء.

٥. أراد السيِّد ابن طاووس أن يتجنَّب التأويلات النحويَّة والتعقيدات التعسفيَّة عند النُّحاة، التي لا طائلَ منها، فقد فسَّر قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، بأنَّ الله جَلَّ جَلالُهُ أراد أن يحكي لفظ قائله على وجهه كما جرت عادة كثير من كتب الله جَلَّ جَلالُهُ يحكي فيها قول كلِّ قائلٍ على وجهه من غلطهم وغيره، كما يحكي الله جَلَّ جَلالُهُ كلمات الكفر عن أهلها بلفظها، فإنَّه لم يمنع من هذا مانع على اليقين، فهو أقرب من قول كثير من المفسِّرين، وهذا القول مخالف لقول الفرَّاء الذي تعسَّف وتكلَّف في تخريج هذه الآية من آراء النحاة واختلاف توجُّهاتهم، وكثرة تعقيداتهم.

هوامش البحث

(١) سعد السعود للنفوس، ابن طاووس: ٤٣.

(٢) ينظر: لسان العرب مادَّة (نقد): ٣/ ٤٢٥، وتاج العروس: ٩/ ٢٣٠، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة: ٦/ ١٩٣، وأساس البلاغة للزمخشريّ: ٦٥، والنقد اللغويّ والنحويّ في معاني القرآن للفرَّاء: ١١.

(٣) ينظر: النقد الأدبيّ، لأحمد أمين : ١، والنقد اللغويّ والنحويّ في معاني القرآن للفرَّاء: ١١.

(٤) الوساطة بين المتنبِّي وخصومه: ٤١٣.

(٥) ينظر: النقد اللغويّ عند العرب، د. نعمة رحيم العزاويّ: ٢٤، والنقد اللغويّ والنحويّ في معاني القرآن للفرَّاء: ١١.

(٦) ينظر: سعد السعود للنفوس: ٣٩٧

(٧) ينظر: سعد السعود للنفوس: ٤٠٧.

(٨) ينظر: سعد السعود للنفوس: ٤٠٧.

(٩) سورة هود: ١٧.

(١٠) التبيان: ٥/ ٤٦٠-٤٦١.

(١١) ينظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن، وهو مخطوط. وحكاه عنه ابن البطريق في العمدة: ١٧١، وتذكرة الخواص: ١٦.

(١٢) ينظر: المناقب: ٣١٤.

(١٣) سورة البقرة: ٥٠.

(١٤) معاني القرآن للفرَّاء: ١/ ٣٦، وينظر: سعد السعود: ٤٠٩.

(١٥) سعد السعود: ٤٠٩.

(١٦) ينظر: سعد السعود: ٤١٠.

(١٧) ينظر: البحر المديد: ١/ ٤٥، والتحرير والتنوير: ١/ ٢٨٩، وتفسير البحر المحيط: ١/ ٢٥٢.

(١٨) سعد السعود: ٤١٠.

(١٩) سورة آل عمران: ٧.

(٢٠) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢١) سورة الأعراف: ١.

(٢٢) سورة يونس: ١، سورة هود: ١، سورة الرعد: ١، سورة إبراهيم: ١.

(٢٣) معاني القرآن للفرَّاء: ١/ ١٩٠، وينظر: سعد السعود: ٤١١.

(٢٤) سعد السعود: ٤١١-٤١٢.

(٢٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢.

(٢٦) سعد السعود: ٤١١-٤١٢.

(٢٧) سعد السعود: ٤١١-٤١٢.

(٢٨) ينظر: رسائل الشريف المرتضى: ٣/ ٣٠٠، ومعاني الأخبار: ٢٢، وسعد السعود: ٣٠٠، ومفاهيم القرآن: ١٠/ ٣٤٨.

(٢٩) معاني القرآن للفرَّاء: ١/ ١٩٠، وينظر: سعد السعود: ٤١١.

(٣٠) ينظر: سعد السعود: ٤١١-٤١٢.

(٣١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٣٢) معاني القرآن: ١/ ٣٦٧.

(٣٣) سعد السعود: ٤١٢.

(٣٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢١٧.

(٣٥) ينظر: تفسير ابن مسعود: ٢/ ٤٥٩.

(٣٦) ينظر: تفسير ابن مسعود: ٢/ ٤٥٩، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٢١٧، وتفسير الآلوسيّ: ٦/ ٩٠، وتفسير البحر المحيط: ٥/ ٣٠٢.

(٣٧) سعد السعود: ٤١٢.

(٣٨) سورة النحل: ٨١.

(٣٩) البيت للمثقَّف العبديّ، أو للمتعب العبديّ. ينظر: خزانة الأدب للبغداديّ: ٤/ ٤٢٩، ومعاني القرآن للفرَّاء: ١/ ٢٣١.

(٤٠) معاني القرآن للفرَّاء: ٢/ ١١٢، وسعد السعود: ٤١٢.

(٤١) ينظر: التبيان: ٦/ ٤١٣، وسعد السعود: ٤١٢.

(٤٢) ينظر: التبيان: ٦/ ٤١٣، وسعد السعود: ٤١٢.

(٤٣) سعد السعود: ٤١٣.

(٤٤) سورة المؤمنون: ٥-٦.

(٤٥) معاني القرآن: ٢/ ٢٣١، وسعد السعود: ٤١٣.

(٤٦) سعد السعود: ٤١٣.

(٤٧) معاني القرآن: ٢/ ٢٣١، وسعد السعود: ٤١٣-٣١٤.

(٤٨) ينظر: سعد السعود: ٤١٣-٣١٤.

(٤٩) ينظر: تفسير الطبريّ: ١٩/ ١١، وتفسير البحر المحيط: ٦/ ٣٩٥.

(٥٠) سورة فصِّلت: ١١.

(٥١) سورة الحجر: ٨٥.

(٥٢) معاني القرآن: ٣/ ١٣، وسعد السعود: ٤١٤.

(٥٣) سعد السعود: ٤١٤.

(٥٤) سعد السعود: ٤١٤.

(٥٥) سورة الطلاق: ١٢.

(٥٦) سورة الإنسان: ١٦.

(٥٧) معاني القرآن: ٣/ ٢١٧، وسعد السعود: ٤١٥.

(٥٨) سعد السعود: ٤١٥.

(٥٩) ينظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ١٩٧، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٢٩١.

(٦٠) سورة الإنسان: ٢١.

(٦١) معاني القرآن: ٣/ ٢١٩، وسعد السعود: ٤١٥.

(٦٢) سعد السعود: ٤١٥-٤١٦.

(٦٣) سورة طه: ٦٣.

(٦٤) معاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، وسعد السعود: ٤١٦، وتأويل مشكل القرآن: ٣٦.

(٦٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٦.

(٦٦) سورة النساء: ١٦٢.

(٦٧) سورة المائدة: ٦٩.

(٦٨) البحر المديد: ٤/ ٢١، ومعاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، وسعد السعود: ٤١٦.

(٦٩) سعد السعود: ٤١٧-٤١٨.

(٧٠) سعد السعود: ٤١٧-٤١٨.

(٧١) تفسير الطبريّ: ٩/ ٣٩٧-٣٩٨، وينظر: الاتقان للسيوطيّ: ٢/ ٣٢٠-٣٢١.

(٧٢) معاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، وسعد السعود: ٤١٦.

(٧٣) ينظر: الكشَّاف: ٤/ ١٥٣، والتبيان: ٧/ ١٨٤، والتحرير والتنوير: ٩/ ٦٣، وتفسير جمع الجوامع: ٣/ ٣٠.

(٧٤) معاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، سعد السعود: ٤١٦.

(٧٥) ينظر: تفسير الرازي: ١٠/ ٤٢٧.

(٧٦) معاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، وسعد السعود: ٤١٦.

(٧٧) ينظر: الكشَّاف: ٤/ ١٥٣، والتفسير الصافي: ٤/ ٣٢٣.

(٧٨) البيت للمتلمس الضبعيّ. ينظر: ديوان المتلمس: ٣٤، وخزانة الأدب: ٧/ ٤٨٧، ومعاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤.

(٧٩) معاني القرآن: ٢/ ١٨٣-١٨٤، وسعد السعود: ٤١٦.

(٨٠) سعد السعود: ٤١٧-٤١٨.

(٨١) سعد السعود: ٤١٧-٤١٨.

(٨٢) سورة الحجر: ٩.

(٨٣) سورة طه: ٦٣.

(٨٤) معاني القرآن: ٢/ ٢٣٨، وسعد السعود: ٤١٨.

(٨٥) الدر المنثور: ٧/ ٢١٣.

(٨٦) سعد السعود: ٤١٨.

(٨٧) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٨١، وتفسير ابن مسعود: ٥/ ٧، وتفسير البغويّ: ٥/ ٤٢٢.

(٨٨) سورة النمل: ٨٧.

(٨٩) سورة البقرة: ١٦٥.

(٩٠) معاني القرآن: ٢/ ٣٠٠-٣٠١، وسعد السعود: ٤١٩.

(٩١) سعد السعود: ٤١٩.

(٩٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٩٣) سعد السعود: ٤١٩.

(٩٤) سورة الأحزاب: ٦.

(٩٥) سورة الأحزاب: ٦.

(٩٦) معاني القرآن: ٢/ ٣٣٥، وينظر: سعد السعود: ٤٢٠.

(٩٧) سعد السعود: ٤٢٠.

(٩٨) سعد السعود: ٤٢٠.

(٩٩) سورة الصافَّات: ١٤٧.

(١٠٠) معاني القرآن: ٢/ ٣٩٣، وينظر: سعد السعود: ٤٢٠.

(١٠١) سعد السعود: ٤٢٠.

(١٠٢) التبيان: ٨/ ٤٨٦.

(١٠٣) سورة سبأ: ٢٤.

(١٠٤) سعد السعود: ٤٢١.

(١٠٥) سورة الدخان: ٥٤.

(١٠٦) معاني القرآن: ٣/ ٤٤، وينظر: سعد السعود: ٤٢١.

(١٠٧) سعد السعود: ٤٢١.

(١٠٨) سورة الدخان: ٥٦.

(١٠٩) معاني القرآن: ٣/ ٤٤، وينظر: سعد السعود:٤٢١.

(١١٠) سعد السعود: ٤٢٢.

(١١١) سعد السعود: ٤٢٢.

(١١٢) نهج البلاغة: ٦٨٧، والحكمة: ١٤٧، وسعد السعود: ٤٢٢.

(١١٣) البيت لأبي عيينة محمَّد بن أبي عيينة المهلَّبيّ، الأغاني: ٥/ ٢٣٤، وسعد السعود: ٤٢٢.

(١١٤) سورة الدخان: ٥٦.

(١١٥) معاني القرآن: ٣/ ١٢٣.

(١١٦) سعد السعود: ٤٢٣.

(١١٧) سورة الجن: ١.

(١١٨) معاني القرآن: ٣/ ١٩٠.

(١١٩) سعد السعود: ٤٢٣.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢. أحكام القرآن، أحمد بن عليّ الرازي الجصَّاص أبو بكر (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمَّد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ، ١٤٠٥.
٣. إعراب ثلاثين سورة من القرآن، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (ت ٣٧٠هـ)، طبعة دار الكتب المصريَّة، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
٤. الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين القرشيّ الأصبهانيّ أو الأصفهانيّ (ت٣٥٦هـ)، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسنيّ الأنجريّ الفاسيّ الصوفيّ (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، الناشر: الدكتور حسن عبَّاس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.
٦. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشيّ (ت٧٩٤هـ)، المحقِّق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربيَّة عيسى البابي الحلبيّ وشركائه.
٧. تأويل مشكل القرآن، محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، المحقِّق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.
٨. التبيان في تفسير القران، شيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، قدَّم له: الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، تصحيح: أحمد حبيب العامليّ، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٩. التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسيّ (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
١٠. تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ أبو الفداء عماد الدين، المحقِّق: سامي بن محمَّد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١. تفسير الآلوسيّ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، المحقِّق: عليّ عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٢. تفسير البحر المحيط، أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيَّان أثير الدين الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، المحقِّق: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٣. تفسير البغويّ، محيي السنَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمَّد بن الفرَّاء البغويّ الشافعيّ، (ت ٥١٠هـ)، عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٤. تفسير الرازي أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ الرازيّ الملقَّب بفخر الدين الرازيّ خطيب الريّ (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٥. التفسير الصافي، الموسى محسن الفيض الكاشانيّ (ت ١٠١٩هـ)، صحَّحه وقدَّم له وعلَّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، منشورات مكتبة الصدر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
١٦. تفسير الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلاميَّة بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٧. تفسير جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير (ط الأزهر)، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، المحقِّق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمَّد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلاميَّة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٨. تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، تصحيح وتعليق: أبو الحسن الشعرانيّ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
١٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبيّ (ت ٨٧٥هـ)، المحقِّق: الشيخ محمَّد عليّ معوَّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٠. خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢١. الدرُّ المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله التركيّ، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٢. ديوان المتلمس الضبعيّ (ت ٥٨٠م)، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفيّ، معهد المخطوطات العربيَّة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٢٣. سعد السعود للنفوس، رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن محمَّد، مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، قسم إحياء التراث، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٣٨٠.
٢٤. الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشريّ جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٢٥. معاني القرآن للأخفش [معتزلي]، أبو الحسن المجاشعيّ بالولاء، البلخيّ ثمَّ البصريّ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٢٦. معاني القرآن للفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، المحقِّق: أحمد يوسف النجاتي ومحمَّد عليّ النجَّار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصريَّة للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، د.ت.
٢٧. المفضليَّات، المفضَّل بن محمَّد بن يعلى بن سالم الضبِّيّ (ت نحو ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمَّد شاكر وعبد السلام محمَّد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، د.ت.
٢٨. نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عزّ الدين (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ وشركاه.